الفصل الثالث

المجموعتان الرئيسيتان من الحريديم

إن الدراسة الموجزة التاريخية يمكن أن تقدم لنا قاعدة لفهم الفروق بين المجموعتين الحريديتين الأساسيتين: الأشكناز والشرقيين، التى كان يطلق عليها فى السابق السفارديم. خلال الجانب الأعظم من تاريخهم، كان اليهود يعيشون متناثرين فى بلاد مختلفة ولا عجب أن ظهرت مجتمعات يهودية منفصلة، مؤلفة من مقيمين يهود فى بلد واحد أو من مجموعة بلدان مختلفة أو فى بعض الأحيان من أجزاء مختلفة من بلد واحد. **وبحلول عام ١٠٥٠ ميلادية، كان هناك مجتمع خاص على هيئة مركز يهودى، تم الاعتراف به كسلطة لها قوانينها الخاصة، وتصدر تعليمات ملزمة لكل اليهود فى جميع أنحاء العالم. وآخر مركز من هذا النوع كان يتمثل فى المجتمع اليهودى بالعراق.**

وبعد انهيار المركز الأخير فى العراق، أصبحت الفروق بين المجتمعات اليهودية أكثر عمقًا. على سبيل المثال، على الرغم من مواظبتها واستخدامها بعض الصلوات القديمة الشائعة لدى كل اليهود، ظهرت صلوات جديدة خاصة لكل مجتمع على حدة.

وحتى ترتيل الصلوات فى المجتمعات المختلفة أصابه التغيير، كما أن القواعد الدينية للسلوك فى كل مجالات الحياة، والتى يلتزم بها اليهود الأتقياء، تغيرت أيضًا إلى حد ما، واختلفت من مجتمع لآخر.

أصبح المجتمع الأشكنازى الذى نشأ فى شمال فرنسا وغرب ألمانيا فيما بين القرنين العاشر والثانى عشر أكثر حداثة، وبدأ فى الانحراف عن الأنماط الراسخة السابقة أكثر من أى مجتمع آخر مع بعض الاستثناءات فى مجتمعات صغيرة فى بلاد بعيدة مثل چورچيا.

وأصبحت الانحرافات الأشكنازية أكثر تجسداً وأكثر رسوخًا.

فحتى اليوم، على سبيل المثال، يرفض معظم اليهود الأشكناز الأتقياء تناول اللحم أو أى طعام يحتوى على اللحم إذا كان معدّا تحت إشراف حاخامات غير أشكناز، أما الأعضاء الأتقياء للمجتمعات اليهودية الأخرى فإنهم يوافقون على إشراف حاخامات غير منتمين لجماعتهم على طعامهم. وعلى ذلك، فإن اليهودى السفاردى التقى، الذى يزور يهوديّا أشكنازيّا تقيّا يأكل اللحم الذى يعده هذا الأخير، ولكن اليهودى الأشكنازى التقى الذى يزور يهوديّا سفارديّا تقيّا يرفض تناول أى طعام يحتوى على أى لحم أو غالبًا أى طعام أيّا كان.

ويتبدى انغلاق الأشكناز فى كثير من جوانب سلوكهم الدينى. وقام اليهود السفارديم، من ناحية أخرى، فى القرن الثانى عشر بتكوين مجتمعهم المغلق الخاص بهم، والذى اعتمد على اعتبار أنهم متفوقون على اليهود الآخرين من جوانب عديدة. فاليهود الإسپان والبرتغاليون، الذين يمثلون جزءًا من اليهود السفارديم، كانوا يتيهون فخرًا باعتبارهم «ذوى سلالة نقية» (وكلمة سفاردى بالعبرية تعنى إسپانى). **ولم يرفض معظمهم فقط الزواج من اليهود الأشكناز، ولكنهم أيضًا كانوا يشمئزون**

من التواجد معهم فى مكان واحد، وقام موسى ميمون، الذى عاش حتى عام ١٢٠٤م وكان حاخامًا وفيلسوفًا يهوديًا عظيمًا فى القرون الوسطى، بتوجيه النصح إلى ابنه فى خطاب وجهه إليه قائلاً:

«أى بنى، طهر روحك بعدم النظر فى الكتب التى وضعها الحاخامات الأشكناز الذين يؤمنون بالله فقط عندما يأكلون اللحم المتبل بالخل والثوم، فهم يؤمنون بأن أبخرة الخل ورائحة الثوم عندما تتصاعد إلى أنوفهم تجعلهم يشعرون أن الله قريب منهم.

أى بنى، يجب أن تبقى فقط بصحبة أشقائنا السفارديم التى تدخل السرور على النفس، والذين يطلق عليهم رجال أندلسية؛ [جنوب إسپانيا، التى كانت فى ذلك الوقت تحت حكم المسلمين] لأنهم هم فقط الذين لديهم العقل الراجح والرؤية الثاقبة».

وهناك عبارات مماثلة، حيث يقوم أعضاء المجتمع اليهودى بالتعبير عن شعورهم بالتفوق على اليهود الآخرين، فى الكتابات اليهودية على نحو شائع. وحتى أواخر الستينيات كان الحاخامات السفارديم الطاعنون فى السن واليهود الآخرون فى القدس، حينما يوقعون بأسمائهم يضيفون حروفًا عبرية تعنى «إسپانى نقى». ومع ذلك، أصبح الانغلاق الأشكنازى، مع نشوئه وتطوره عبر القرون أكثر تشددًا وتطرفًا من الانغلاق السفاردى.

وكان لهذا الانغلاق المتزايد أسبابه الجغرافية والاجتماعية والسياسية. فقبل تكَوُّن المجتمع الأشكنازى، كان جميع اليهود يعيشون فى منطقة

حوض البحر الأبيض المتوسط أو فى بلدان مثل العراق، متصلة بواسطة طرق التجارة. وفى القرن العاشر كانت معظم دول البحر الأبيض المتوسط خاضعة إما للحكم الإسلامى أو الحكم البيزنطى.

وكانت الاتصالات بين هذه المنطقة وأوروبا الإقطاعية الناشئة واهية بدرجة كبيرة بسبب حواجز اللغة.

فكانت اليونانية والعربية يتم التحدث بهما فى جانب، حيث لم تكونا معروفتين فى المناطق المسيحية الغربية، بينما كانت اللاتينية غير معروفة إلى حد كبير فى الشرق.

وواجه اليهود، الذين كانوا غالبًا يتحدثون لغة الناس الذين يعيشون بينهم، نفس عائق التواصل كما حدث للشعوب الأخرى.

وعلى ذلك، قام المجتمع الأشكنازى بصياغة نمط الحياة الخاص به دون معرفة أو إرشاد المجتمع اليهودى الأقدم.

كما تطور نمط الحياة اليهودى الأشكنازى داخل سياق الإقطاع الناشئ فى أوروبا، والذى اختلف فى كثير من جوانبه الجوهرية عن النظم الأخرى فى مناطق أخرى من العالم. ومن خلال الانتشار شرقًا فى الدول الصاعدة فى وسط وشرق أوروبا، قام المجتمع الأشكنازى بترسيخ دعائمه وصياغة هويته، وهو ما استمر حتى اليوم على نحو أكثر وضوحًا عبر اليهود الأشكناز المتدينين وليس العلمانيين.

بعد أن طردوا من إسپانيا عام ١٤٩٢م ومن البرتغال عام ١٤٩٨م، لم يستوطن اليهود السفارديم فقط مجتمعات يهودية أخرى، ولكنهم أيضًا أحدثوا بها تحولاً. وفى هذه المجتمعات كان المهاجرون السفارديم الجدد يميلون إلى العزلة والنأى عن اليهود الآخرين، ولأنهم جاءوا من مجتمع إسپانيا الأكثر تطورًا ونهضة ليقيموا فى بلدان أقل نموًا، فإنهم سرعان ما أصبحوا الأكثر ثراء والأرفع ثقافة والأوسع اتصالاً من الناحية السياسية بدول البحر المتوسط. فاليهود السفارديم الذين استقروا فى سالونيك (التى هى الآن جزء من اليونان ولكنها كانت فى ذلك الوقت تابعة للإمبراطورية العثمانية) حصلوا على امتيازات من السلطان العثمانى؛ لأنهم كانوا يصنعون أفضل الملابس ويقدمون الأقمشة من أجل صناعة أزياء الوحدات الخاصة للجيش العثمانى.

وقد احتفظ يهود سالونيك السفارديم بهذا الاحتكار لمدة ١٣٠ عام، وفقدوه فقط حينما تم استيراد أقمشة أكثر حداثة من انجلترا وهولندا.

وقام اليهود الإسپان وبعض اليهود الإيطاليين بمعظم الأعمال الإبداعية فى مجالات الحضارة اليهودية فى القرون الوسطى. وبسبب ثرائهم وثقافتهم، فرض اليهود السفارديم عاداتهم ولغتهم واسمهم على المجتمعات اليهودية فى كل البلاد التى هاجروا إليها. وأحد الأمثلة الدالة على ذلك تتمثل فيما حدث فى المجتمعات اليهودية فى منطقة البلقان التى تسمى الآن تركيا. وأطلق اليهود المقيمون فى هذه المجتمعات على

أنفسهم اسم «الرومانيول» وهو اسم مأخوذ من الاسم الشائع للإمبراطورية البيزنطية «رومانيا».

وكانوا يتحدثون اللغة اليونانية حتى عام ١٥٥٠م عندما بدأوا - من خلال تأثرهم بالهجرة السفاردية - تسمية أنفسهم بالسفارديم وتحدثوا لغة «اللادينو» وهى شكل قديم من أشكال اللغة الإسبانية. والواقع أنه لم تكن هناك أية مجتمعات سفاردية أخرى باستثناء تلك المؤلفة من مهاجرين من شبه الجزيرة الأيبرية أو المنحدرين من نسلهم، أو أولئك الذين ذابوا داخل المجتمعات السفاردية. وكان الرحالة الأوروبيون وبعض اليهود الأشكناز يشيرون - وما زالوا يشيرون - خطأً إلى كل اليهود غير الأشكناز بأنهم سفارديم؛ هذا لأن اليهود السفارديم الحقيقيين كانت لهم هيمنة دائمة على المجتمعات اليهودية الأخرى.

والكثير من أعضاء المجتمعات اليهودية غير السفارديم وغير الأشكناز عرفوا أنفسهم على نحو صحيح بأنهم ليسوا فقط يهودًا ولكن عراقيين أو مغاربة أو إيطاليين أو أية جنسية أخرى.

حتى نهاية القرن السابع عشر، كان اليهود الأشكناز يمثلون أقلية ضئيلة فى المجتمع اليهودى. وتجاوز تقدمهم الحضارى المجتمعات اليهودية الأخرى وخاصة السفارديم والإيطاليين.

ومنذ القرن الثامن عشر، تدهور مستوى سكان بلاد البحر الأبيض المتوسط، وخاصة فى البلاد التابعة للإمبراطورية العثمانية، اقتصاديًا وديموجرافيًا. وأدى ذلك إلى تأثر المجتمعات اليهودية القاطنة فى هذه

البلدان. وفيما بين عامى ١٧٠٠ و١٨٥٠م، تضاءل عدد اليهود فى هذه البلدان بشكل حاد وأصبحوا فى حالة مزرية. والزيادة المتواضعة فى عدد اليهود فيما بين عامى ١٨٥٠ و١٩١٤م لم تعوض هذا التناقص بدرجة كافية. ومنذ بداية القرن الثامن عشر كان للتقدم السياسى والتكنولوچى فى أوروبا أثره على المجتمع الأشكنازى. وابتداء من منتصف القرن الثامن عشر بدأ المجتمع الأشكنازى فى النمو السريع. وبحلول عام ١٨٠٠م أصبح اليهود الأشكناز يشكلون أغلبية بالنسبة ليهود العالم، وهذه الزيادة والنسبة المئوية المهيمنة تصاعدت فى القرن التاسع عشر.

فاليهود الذين كانوا يقطنون الجزء الأوروبى من الإمبراطورية الروسية، والذين كانوا جميعًا من الأشكناز على وجه التقريب، تضاعف عددهم سبع مرات فيما بين عامى ١٧٩٥ و١٩١٤م، وقام اليهود الأشكناز باستقدام العديد من البدع إلى الديانة اليهودية، والتى يتميز بعضها بالطابع العلمانى.

وبحلول النصف الأول من القرن العشرين، تفوق اليهود الأشكناز على الأقلية الضئيلة من غير الأشكناز فى كل شىء بما فى ذلك الدراسات التلمودية.

والانشقاق الحالى بين اليهود المتدينين الأشكناز وغير الأشكناز ينبثق من أنه خلال القرنين الماضيين، وعلى نحو يتناقض مع ما كان يحدث فى السابق، أصبح كل الحاخامات المميزين تقريبًا من الأشكناز. وفى

المجتمعات غير الأشكنازية خلال تلك الفترة تناقصت إلى حد كبير قيمة الدراسات التلمودية وحتى الكتب المعاد طبعها.

وحتى عام ١٩٤٨م، كانت الصهيونية وهجرة اليهود إلى فلسطين بدعًا أشكنازية. ونظر معظم اليهود المتدينين إلى الصهيونية باعتبارها مناقضة لليهودية، وبذلك فإن اليهود المارقين من ماضيهم الدينى هم فقط الذين يمكنهم أن يصبحوا صهاينة. ومع ذلك فإن القليل من اليهود الأشكناز هاجروا إلى فلسطين؛ بسبب المعتقدات الصهيونية. والغالبية العظمى من المهاجرين هاجروا فقط لأن حياتهم فى البلدان التى كانوا يقيمون بها أصبحت لا تحتمل. وكانت الغالبية العظمى من اليهود المهاجرين إلى إسرائيل فى عام ١٩٤٨م تتكون من أولئك الذين هاجروا إلى فلسطين بعد تصاعد الاتجاه المعادى للسامية فى أوروبا بعد عام ١٩٣٢م، وخاصة بعد تولى هتلر للسلطة فى ألمانيا. وكان عدد اليهود غير الأشكناز فى إسرائيل فى وقت قيام الدولة صغيرًا نسبيًا..

وبالنسبة لمعظم اليهود فى المجتمعات غير الأشكنازية، كان النفوذ الدينى، وخاصة الاتجاه المسيانى، لا يزال فعالاً قويًا فى الخمسينيات وأوائل الستينيات. وكان مستوى المعيشة فى إسرائيل فى الخمسينيات، على الرغم من أنه أقل من المستوى الأوروبى، أعلى بكثير من ذلك الخاص بمعظم الدول العربية فى الشرق الأوسط. وعلى ذلك كان فى استطاعة الحكومة الإسرائيلية أن تقنع بسهولة يهود الكثير من البلاد مثل المغرب واليمن وبلغاريا بالهجرة إلى إسرائيل. **كما شجعت الحكومة**

الإسرائيلية الهجرة اليهودية من العراق من خلال رشوة الحكومة العراقية لتجريد معظم اليهود العراقيين من جنسيتهم ومصادرة ممتلكاتهم. وعلى العكس، هاجر القليل من اليهود إلى إسرائيل من بلدان البحر الأبيض المتوسط الأكثر تقدمًا مثل اليونان ومصر.

وأثناء الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٥م، تناقص عدد اليهود الأشكناز فى إسرائيل إلى أقلية شكلت ما يقرب من ٤٠٪ من عدد سكان إسرائيل. ولكن الهجرة الضخمة لليهود من الاتحاد السوفييتى السابق، أدت إلى زيادة عدد الأشكناز إلى حوالى ٥٥٪ من عدد السكان. ولأنهم جاءوا من بلدان أكثر تقدمًا، فإن الغالبية العظمى من اليهود الأشكناز كانوا ذوى مظهر معاصر واتجاه علمانى.

ظل اليهود غير الأشكناز، الذين أصبح يشار إليهم على نحو متزايد باسم «الشرقيين» بدلاً من «السفارديم»، متدينين إلى حد كبير، وإبان وصولهم إلى إسرائيل خضع الكثير من اليهود الشرقيين وأطفالهم لعملية تشكيل اجتماعى ثقافى يقودها المواطنون الأشكناز المحنكون ويدافع عنها أعضاء حزب العمل الصهيونى الذى كان فى السلطة. وهذا التشكيل الاجتماعى اشتمل على جانب كبير من التحديث القهرى، ومحاولات زرع النزعة العلمانية لدى الصغار. واختلطت نتائج هذا القهر خلال الجانب الأعظم من أول عقدين لوجود دولة إسرائيل. وظلت الغالبية العظمى من اليهود الشرقيين تقليدية، أى غير عالمة بالتعاليم اليهودية الواضحة مثل تحريم السفر يوم السبت، ولكنها اتبعت التعاليم الأخرى

وخاصة تلك التى تتعلق بحضور الاجتماعات الدينية. والأمر الأكثر أهمية هو أن ذلك كان يعنى أن أولئك اليهود ظلوا يؤمنون بالقوى السحرية للحاخامات و«الرجال المقدسين».

وحتى اليوم، يجرؤ القليل من السياسيين الشرقيين على نقد الحاخامات علنًا، حتى ولو عارضوهم أو لعنوهم. أما اليهود الأشكناز من كل الاتجاهات السياسية فإنهم على النقيض يقومون بتوجيه النقد للحاخامات بحرية تامة. ومعظم الساسة الأشكناز يحتقرون أى تزلف إلى الحاخامات. وكل الساسة الشرقيين تقريبًا، بما فى ذلك «الفهود السود» فى أوائل السبعينيات وأعضاء حركات السلام الشرقية، يقومون بالانحناء للحاخامات وتقبيل أياديهم علنًا.

وقام عدد قليل من اليهود الأشكناز المتدينين وخاصة القطاع الحريدى منهم، بمقاومة التشكيل العلمانى لليهود الشرقيين. كما نجحوا إلى حد ما فى إقناع أقلية منهم بالحفاظ على الاتباع الصارم لتعاليم اليهودية. كما قاموا أيضًا بإنشاء مدارس دينية منفصلة ويشيفوت للشرقيين، كما سمحوا بأن يلتحق بعض الشباب الشرقيين الأكثر تأهيلاً بمدارسهم الخاصة، بما فى ذلك اليشيفوت، على الرغم من أن ذلك قد حدث بأعداد صغيرة وتحت رقابة مشددة.

وبعد مرور الوقت، ظهرت مجموعة مختارة شرقية حريدية من الحاخامات ودارسى التلمود، ودون استثناء تقريبًا، قام الحاخامات الأشكناز بتدريب أعضاء هذه المجموعة المنتقاة.

ومع بداية التسعينيات تفجر الخلاف بين النسخة الحريدية من الانغلاق الأشكنازى والتقليدية الشرقية، والذى كان دومًا قابلاً للاشتعال. فقد أصرت الحركة الأشكنازية الحريدية على التجميد الكامل للموقف الذى وجد فى وسط وشرق أوروبا حوالى عام ١٨٦٠م.

وأرغم اليهود الشرقيون، الذين تدربوا على أيدى اليهود الأشكناز الحريديم، على التخلى عن زيهم التقليدى، وارتداء الملابس الأشكنازية السوداء، وتعلم وتحدث اللغة اليديشية. وكانت اللغة اليديشية هى لغة التعليم الشفهى لليشيڤوت الحريدية، أما اللغة العبرية فكانت لغة الكتابة. كما أرغم اليهود التقليديون الشرقيون أيضًا على تبنى الطريقة الأشكنازية فى الصلاة والتى اختلفت عن طريقتهم السابقة من عدة نواح. وقام الحاخامات المبجلون، الذين يمتلكون السلطة المطلقة ولا يواجهون أية معارضة، بفرض هذه التغيرات المتطرفة. على العكس أدت المحاولات المتعددة لحركة العمل لفرض قيود التحديث على اليهود الشرقيين فى الخمسينيات، إلى اشتعال المعارضة بين الجماهير الشرقية التى كانت تنتقد الساسة، ولكنها كانت من الصعب أن تنتقد الحاخامات.

بعد سنوات من الانقياد التام لمطالب الحاخامات والخضوع لهم، لم يمنح الطلاب الشرقيون فى اليشيڤوت الحريدية الأشكنازية منزلة مكافئة لتلك الخاصة بزملائهم وحاخاماتهم. وقد استمروا فى قبول هذه المعاملة المتدنية ويبدون حتى اليوم راضين بها، وأحد الأمثلة المعبرة عن ذلك

يتمثل فى عدم المساواة فى الزواج مع زملائهم الأشكناز. فكل المجتمعات اليهودية تشترك فى العرف السائد المتمثل فى أن يقوم رئيس (أو ناظر) الياشيڤاه بترتيب كل زيجات طلاب المدرسة. فيقوم بانتقاء فتيات اليهود الأثرياء والأتقياء كزوجات للطلاب. والطلاب الأفضل يتم تزويجهم من بنات عائلات أكثر ثراء (كما يقوم أيضًا ناظر الياشيڤاه باختيار بنات الحاخامات لأبناء الأسر الثرية).

ويقوم طلاب الياشيڤاه بالخضوع لهذا الاختيار دون أى تردد؛ لأن الاعتراض كان ولا يزال إثمًا مبينًا. وقد تم اللجوء إلى هذه الطريقة لكى يحظى طلاب الياشيڤاه الذين ليست لديهم مهارات رائجة، وكذلك عائلاتهم بالدعم، وبذلك يستطيع الطلاب مواصلة دراساتهم المقدسة وتستطيع العائلة القائمة بالدعم، دخول الجنة.

وفى وقت أحدث، كان نظار الياشيڤاه عندما يعجزون عن العثور على آباء زوجات أثرياء، ينتقون فتيات تم تدريبهن على مهن ملائمة للمرأة الحريدية ولديهن الرغبة فى مساندة الأزواج المختارين لهن والمنخرطين فى «دراسات مقدسة» (ومن المفترض أن يؤدى ذلك إلى دخولهن الجنة). ومن خلال هذا الحق فى الاختيار، كان نظار الياشيڤاه قادرين غالبًا على التحكم فى حياة ومعيشة طلاب الياشيڤاه وعائلاتهم.

ولم يقم اليهود الحريديم الأشكناز أبدًا بشكل رسمى بتحريم الزواج من اليهود المتقين من المجتمعات الأخرى. ومع ذلك فإن هذه الزيجات كانت ولا تزال تعتبر عارًا. وبسبب ذلك، قام نظار المدارس الحريدية

الأشكنازية بتبنى العادة المتمثلة فى تزويج الطلاب الشرقيين المتميزين فى دراستهم لعرائس أشكناز معوقات بدنيًا أو من عائلات فقيرة.

ولا عجب أن هناك قانونًا غير مكتوب ينص على عدم تعيين الطلاب الشرقيين، مهما كانوا متميزين، لأى منصب تدريس حتى فى أدنى مستويات اليشيڤوت، التى يحضرها فقط الطلاب الشرقيون. وهذه الوظائف التدريسية يتم الاحتفاظ بها للحاخامات الأشكناز، على أساس أن اليهود الشرقيين لم ينضجوا على النحو الذى يسمح لهم بتحمل تبعة المناصب الدينية. وحينما قام الحاخام شاخ، وهو أحد أبرز زعماء الحريديم، بتكرار هذا الزعم قبل انتخابات ١٩٩٢م، فإنه اتهم بالعنصرية من قبل الكثير من اليهود الأشكناز العلمانيين، ولم ينبس الحاخامات الشرقيون ولا النشطاء السياسيون الشرقيون ببنت شفة من النقد العلنى.

لم تكن هناك أية مبادرة شرقية مسئولة عن خلق الحزب السياسى الحريدى شاس. فقد قام الحاخام شاخ بتكوين حزب شاس قبل انتخابات ١٩٨٨م؛ وذلك لأنه كان يحتاج فى صراعه مع الحاخامات الحريديم الأشكناز البارزين الآخرين إلى أعضاء فى الكنيست يخضعون له فقط. ولذلك أصدر أوامره للحاخامات الذين كانوا يدرسون على يديه فى السابق وما زالوا يدينون له بالولاء بتكوين حزبين سياسيين حريديين منفصلين جديدين: حزب ديجل هاتوراه، أى (عَلَم الشريعة) كحزب أشكنازى صرف وحزب شاس (وهى الأحرف الأولى من القائمة السفاردية للتقليد) كحزب شرقى بحت. وبعد تكوّن الحزبين، اعتبر

زعماء الحزبين الحاخام شاخ أعلى سلطة روحية لهم، وأقسموا على طاعته طاعة عمياء. ومن أجل جعل حزب شاس جذابًا أيضًا لليهود غير الشرقيين، قام شاخ باختيار أحد الحاخامات الحريديم غير الشرقيين الذين يمكنه الاعتماد عليهم - وهو الحاخام عوفيديا يوسف، رئيس حاخامات إسرائيل السابق - للعمل كرئيس شرفى للحزب. فالحاخام شاخ، بالطبع يحتفظ فى يده بتلك السلطة. وبالنسبة لشاخ فإن أكبر ميزة لدى يوسف، بعد أن أخفق فى الفوز بإعادة انتخابه كرئيس للحاخامات نتيجة رفض الحزب الدينى القومى ممارسة نفوذه لصالحه، هى مقته الشديد للحزب الدينى القومى كما هو حال الحاخام شاخ.

وكما هو معروف جيدًا فى إسرائيل، فإن الكراهية والبغضاء بين اليهود العلمانيين لا تصل فى شدتها واشتعالها إلى تلك الكراهية المتبادلة بين الجماعات المختلفة من اليهود المتدينين، خاصة فى الشجارات بين الحاخامات الذين يمثلون هذه الجماعات. وكان لدى شاخ سبب جيد لكى يتوقع أنه بسبب رغبته فى الانتقام من حاخامات الحزب الدينى القومى، سوف يظل يوسف مواليًا له وراضيًا عن دوره التابع.

بدا لوهلة من الزمن أن كل شىء يمضى حسبما خطط له شاخ. وقد حصل الحزبان، اللذان يسيطر عليهما شاخ، على ثمانية مقاعد فى الكنيست فى انتخابات عام ١٩٨٨م، فحصل ديجل هاتوراه على مقعدين، وحصل شاس على ستة مقاعد، وحصل الحزب الحريدى أجودات إسرائيل، الذى قام الحاخام شاخ بتكوين أحزابه ضده، على

خمسة مقاعد. وفضل حزبا ديجل هاتوراه وشاس حكومة تابعة لليكود، وبعد انتخابات ١٩٨٨م أيدا إسحاق شامير كرئيس للوزراء، وكان تأييدهما حاسمًا. وبعد عام ١٩٩٠م لم يعد لدى شامير أغلبية بدون تأييدهما. وقد فشلت محاولات زعيم حزب العمل شيمون بيريز، فى تغيير هذا الموقف. **كما قضى بيريز شهورًا يحضر دروس التلمود، والتى كان يعطيه إياها الحاخام يوسف فى منزله.**

وحاول بيريز - دون أن يدركه النجاح - أن يستقبله الحاخام شاخ فى منزله، حيث قام باستقبال العديد من الساسة العلمانيين ضئيلى الشأن، ولكنه لم يستقبل بيريز، وقام بيريز بإصدار العديد من البيانات العامة عن مدى عميق احترامه لليهودية عمومًا وللحاخامات الحريديم على وجه الخصوص. وباءت كل محاولات بيريز بالفشل.

ولم يتزحزح شاخ ومنافسوه من حاخامات الحريديم قيد أنملة فى تأييدهم لشامير. وكان انتصار إسحاق رابين على بيريز فى انتخابات رئاسة الوزراء عام ١٩٩٢م يرجع بدرجة كبيرة إلى منزلتيهما فى حزب العمل وفشل محاولات بيريز فى نيل الحظوة لدى اليهود الحريديم وكسب تأييدهم. وعلى الرغم من هذه التجربة، كرر بيريز نفس المحاولات التى أدت إلى نفس النتائج فى انتخابات ١٩٩٦م.

حصلت الأحزاب الحريدية على النفوذ السياسى بعد عام ١٩٨٨م، وخاصة فى الفترة ١٩٨٨ - ١٩٩٠م، وقام بيريز الذى كان لا يزال فى

السلطة بعد عام ١٩٨٨م، بتأييد مطالبها، أما شامير فإنه كان أكثر تأييداً لها.

والنجاح السياسى الحريدى يمكن أن يقاس بشكل أفضل من خلال المبالغ المالية التى كان الحزبان الحريديان يستطيعان الحصول عليها من الدولة من خلال ما يسمى منح «الأموال الخاصة»، التى لا تخضع للإشراف المالى للدولة. وهذه المنح كانت تجمع من خلال اتحاد تطوعى، تم تشكيله لكى تظل تحت الإشراف الفعلى لأحد أعضاء الكنيست من الحريديم أو أصدقائه.

وقام وزير المالية بتقديم منح مالية من ميزانية الدولة لهذه الاتحادات التطوعية على أسس مهترئة ودون وجود رقابة على هذا الإنفاق. وكان الفساد الناتج عن ذلك هائلاً، ووصل إلى مستوى ليس له مثيل فى تاريخ دولة إسرائيل، وأدى فى النهاية إلى سحب منح الأموال الخاصة.

إن الفساد الواسع الذى أحاط بالحصول على هذه الأموال لا يعنى بالضرورة أنها كانت تستخدم على نحو غير مشروع.

وقد أنفق حزب شاس معظم هذه الأموال فى إقامة شبكة من المؤسسات المصممة لممارسة نفوذ دائم وتدريب جماعات مسلحة يمكنها أن تمكن الحزب فى المستقبل من توسيع سيطرته على الجمهور. وهذه الشبكة تكونت من سلسلة من المؤسسات التعليمية المصممة لإحياء التعليم اليهودى التقليدى للفتيان مع الاقتصار على المواد المقدسة وعدم تدريس المواد العلمانية (أغفل حزب شاس على نحو واسع تعليم

الفتيات). كما تم تشجيع الذكور الكبار الذين تتراوح أعمارهم بين ٤٠ و ٥٠ عامًا على ترك مهنهم أو هجرة أعمالهم من أجل الانتظام فى هذه المؤسسات ودراسة المواد المقدسة مع دفع مقابل مادى مضمون. وهذا التعويض المالى، الذى هو عبارة عن رواتب للدراسة، كان منخفضًا ولكن الكثير من الأشخاص اعتبروا حياة الدراسة مفضلة على القيام بعمل حقير أو الاحتفاظ بمشروع فاشل. وقام المتطوعون بما هو أكثر من دراسة التلمود. فقد طلب منهم القيام بأعمال سياسية من أجل شاس. وسرعان ما شكّل هؤلاء المتطوعون كادرًا سياسيًا لشاس الذى كان ولا يزال أداة فاعلة فى تحويل الأحياء الحريدية إلى أنصار انتخابيين تحت أى ظرف.

أدرك المعلقون السياسيون الإسرائيليون العالمون ببواطن الأمور الأثر السياسى والعام لهذا النشاط السياسى الحريدى. وفى مقالة بتاريخ ٢٦ يونيو ١٩٩٢م فى جريدة «الهاميشمار»، قام البروفيسور جدعون دورون، كبير مستشارى رابين للاستراتيجية خلال انتخابات ١٩٩٢م، بعد انتصار رابين، بشرح أسباب إحجام حزب العمل عن الطواف فى الأحياء التى يهيمن عليها شاس طلبًا للأصوات الانتخابية: «هذا حزب يجعل جمهوره تحت سيطرته المستمرة أثناء الانتخابات وفى أوقات أخرى. فوسيلة شاس تتمثل فى تحويل المحصلة الانتخابية إلى مصادر لضخ الأموال وإنفاق المال الذى تم الحصول عليه أثناء السنوات الأربع.. (بين انتخاب وآخر). وهذه الطريقة تكلل بالنجاح. وصحيح أنهم

يستخدمون أيضًا التمائم والتعويذات والعهود التى تؤثر فى جمهورهم بدرجة كبيرة. إلا أن دورها ثانوى».

وتبعًا لدورون، فإن أفضل وسيلة للتقرب من جمهور شاس الانتخابى تتمثل فى القيام بذلك من خلال الصفوة التى تتقاضى أجرًا، والتى يتمثل دورها فى الحفاظ على جمهور الناخبين تحت السيطرة. كما أشار دورون إلى أنه، باستثناء تلك الصفوة السابق الإشارة إليها، فإن أتباع شاس هم «قطاع تقليدى شرقى من مؤيدى الليكود». ومن خلال اكتساب النفوذ السياسى، اكتسب زعماء شاس، وخاصة الحاخام يوسف، ثقة بالنفس وبدأوا فى السعى نحو الخلاص من وصاية الحاخامات الحريديم الأشكناز. وفى كل حى يهيمن عليه شاس، نودى بأن الحاخام يوسف وليس الحاخام شاخ هو الأعظم فى أركان البسيطة الأربعة، وبعد سنوات قليلة من المداهنة المستمرة للجماهير، أصبح الحاخام يوسف مؤمنًا بما لا يدع مجالاً للشك بأنه لم يعد فى حاجة إلى الخضوع للحاخام شاخ.

حدث الانشقاق بين شاس والحاخام شاخ بعد انتخابات ١٩٩٢م، وكان منشأه تافهًا.

فقد حدث فى الواقع بسبب المزاعم المتصارعة لكل من شاخ ويوسف، حيث يدعى كلٌ منهما بأنه الزعيم الروحى لشاس.

وقام رابين، حينما شكَّل ائتلافه، بقبول مطالب شاس.

وقبل توقيع الاتفاق، طلب شاس موافقة الحاخام شاخ. ورفض شاخ بسبب أن شولاميت آلونى كانت مرشحة لمنصب وزيرة التعليم. وأعلنت صحيفة ياتيد نعمان، أن هذا الترشيح أسوأ من قتل مليون طفل خلال الهولوكوست. والمنطق المستخدم فى ذلك يقول إن النازيين قتلوا الأطفال ولكنهم لم يمنعوا أرواحهم من دخول الجنة، بينما تعيين آلونى يمكن أن يخرب الأرواح اليهودية ويحرمها من دخول الجنة، ومع ذلك قرر الحاخام يوسف وحزب شاس المخاطرة بأرواح الأطفال اليهود وانضموا لحكومة رابين. وقد كان رد فعل الحاخام شاخ وتابعيه سلبيًا ومشتعل الغضب واستمر كذلك.

تأجج الصراع بين الحركتين الحريديتين فى المنطقة السحرية الخاصة بالنزاع على السلطة الروحية. وعلى نحو يتوافق مع المعتقدات الحريدية السحرية التى يؤمن بها على نطاق واسع، فإن الإثم المبين الذى ارتكبه زعماء شاس من خلال الاعتراض على مشيئة الحاخام شاخ يمكن أن يعاقبوا عليه من خلال بعض اللعنات التى تؤدى إلى موت أو مرض هؤلاء الزعماء أو عائلاتهم. وهذا ما يؤدى إلى استعادة عدالة السماء.

ومن أجل المساعدة على تحقيق هذه النتيجة السحرية، لجأ مؤيدو الحاخام شاخ إلى وسيلة تم استخدامها من قبل فى مواقف مشابهة، فقاموا بنشر إعلانات كاذبة عن موت ومرض وحوادث مرور لزعماء شاس، وبعد ذلك قاموا بإخطار عائلاتهم تليفونيًا أو أرسلوا سيارات الإسعاف

إلى منازلهم، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن العداء اللدود بين اليهود المتدينين وخاصة الحاخامات الحريديم بالغ الاشتعال.

وأدى وجود هذا العداء المشتعل إلى التفرق داخل صفوف الحريديم، مما أدى إلى الحد من نفوذهم السياسى. ووسائل القتال الضارى كانت معروفة داخل الثقافة الحريدية وكان تأثيرها ضئيلاً للغاية بالنسبة لأتباع الحاخام شاخ. علاوة على ذلك، فإن شاس من جانبه كان لديه حاخام ذو سلطة عظيمة وصانع شهير للمعجزات وهو الحاخام قدورى، الذى أعلن أنه سوف يحمى كل زعماء شاس من خلال تعويذات القابالاه. وزعم الحاخام قدورى أيضًا أن الله كشف له أن تطاول اليهود الحريديم الآخرين سوف يرفع زعماء شاس إلى أعظم المراتب اليهودية ألا وهى تقديس اسم الله عبر الشهادة.

وخلال النزاع على السلطات الروحية، تفجر الخلاف حول ما إذا كانت المنزلة الروحية للحاخام يوسف عظيمة بما يكفى لكى يتحدى السلطة الدينية للحاخام شاخ، وخاصة فى ضوء الولاء السابق له. وبعد الكثير من الجدل، قرر كل حاخامات شاس اتّباع الحاخام يوسف.

وبدأ حاخامات شاس اتّباع الحاخام يوسف باعتباره - من وجهة نظرهم - «أعظم حاخامات عصره»، وأعظم حتى من أى حاخام إشكنازى. وهذا الشرف كان ينسب فى الماضى إلى الحاخام شاخ. وحصل شاس على الاستقلال. وعلى ذلك فإن اليهود الحريديم الأشكناز لم يستطيعوا هزيمة شاس ولكنهم قطعوا معه كل الصلات. ولم ينأ أى حاخام

أشكنازى بنفسه عن تصريحات شاخ، ولكن أضاف بعضهم مزيداً من الغل. وقام زعيم أكبر طائفة حسيدية (جور حسيد) بتكرار وجهة نظره السابقة بأن إسرائيل خسرت حرب يوم كيبور (أكتوبر ١٩٧٣م)؛ لأن من كان يشغل منصب رئيس الوزراء امرأة (جولدا مائير). وانطوى تصريحه على أن إسرائيل سوف تخسر حربها القادمة بسبب شولاميت آلونى. واستخدم الحاخامات الأشكناز وأتباعهم ما هو أكثر من مجرد اللعنات والتصريحات.

فقاموا بتدنيس أماكن عبادة شاس، قبل السبت مباشرة، مما جعل من الصعب تنظيمها دون انتهاك حرمة السبت. والعديد من زعماء شاس، الذين درسوا فى المؤسسات الأشكنازية والذين واصلوا الصلاة فى الاجتماعات الدينية الأشكنازية، تم التحرش بهم أو ضربهم أثناء تلاوة صلواتهم.

وقد تم صفع أحد حاخامات شاس وضربه وهو الحاخام بنحاس، فى أحد الاجتماعات الدينية الأشكنازية فى مدينة حريدية وهى «بنى براك» أثناء جلسة للصلاة يوم السبت. وبعد ذلك أسيئت معاملة بعض أطفال زعماء شاس بشكل رهيب، وبعد ذلك، اضطر وزير الداخلية إسحاق درعى لنقل أطفاله من إحدى المدارس الدينية الأشكناز ية بعد أن أهينوا على الملأ، وكان درعى يتم التحرش به دائمًا، وغالبًا عندما يحاول الصلاة فى المعبد، من خلال أتباع شاخ والمستوطنين المتدينين. وقام حزب شاس بالرد على ذلك، وفى العديد من المناسبات قاموا بضرب من تحرشوا

بدرعى، كما قاموا أيضًا بتدنيس المعابد الأشكنازية. وأدى انتقام شاس إلى خدمة قضية خصومهم من خلال تصعيد الصراع.

يمثل الانشقاق والصراع داخل صفوف الحريديم التحول الدينى لليهود الشرقيين. ولمدة ما يزيد على عقدين من الزمان، تم تأسيس الكثير من الجماعات الشرقية العلمانية، والتى فشلت فى الحصول على مساندة السكان الذين زعمت أنها تمثلهم، ونتيجة لذلك انهارت على نحو شائن. ويمكن إرجاع هذا الفشل إلى رفضها التام إدراك أن المجتمعات اليهودية الشرقية تعرف نفسها عبر مصطلحات دينية. ومن المتوقع فى المستقبل القريب أن يظل حزب شاس الحريدى الحزب السياسى الشرقى الوحيد فى إسرائيل، وهذه الدراسة يمكن أن تساهم فى التعرف على طبيعة التحول الدينى لسكان لم يتم تحديثهم بالكامل.

***